الفارض

لجبران خليل جبران

* * * *

كان عمر بن الفارض شاعراً ربانياً . وكانت روحه الظمآنة تشرب من خمرة الروح فتسكر ثم تهيم سابحة ، مرفرفة في عالم المحسوسات حيث تطوف احلام الشعراء وأميال العشاق وامانى المتصوفين . ثم يفاجئها الصحو فتعود الى عالم المرئيات لتدون ما رأته وسمعته بلغة جميلة مؤثرة ، لكنها غير خالية في بعض الاحايين من ذلك التعقيد اللفظي المعروف بالبديع ، وهو في شرعي ليس بالبديع

ولكن اذا وضعنا صناعة الفارض جانباً ونظرنا الى فنه المجرّد وما وراء ذلك الفن من المظاهر النفسية وجدناه كاهناً في هيكل الفكر المطلق ، اميراً في دولة الخيال الوسيع ، قائداً في جيش المتصوفين العظيم — ذلك الجيش السائر بعزم بطيء نحو مدينة الحق ، المتنقل في طريقه على صغائر الحياة وتوافهها ، المحدق ابداً بهيبة الحياة وجلالها .

وقد عاش الفارض في زمن خالٍ من التوليد العقلي والاحداث النفسي

بين قوم منصرفين الى التقليد والتقاليد ، مشغولين باستفسار واستيضاح ما تركه الاسلام من الامجاد الادبية والفلسفية . غير ان النبوغ — والنبوغ معجزة ألهية — قد صار بشاعرنا الحموي فتنحى عن زمنه وعن محيطه واختلى بذاته لينظم ما يتراءى لذاته شعراً ابدياً يصل ما ظهر من الحياة بما خفي منها .

ولم يتناول الفارض مواضيعه من ماجريات يومه كما فعل المتنبي ، ولم تشغله معميات الحياة وأسرارها كما شغلت المعري ، بل كان يغمض عينيه عن الدنيا ليرى ما وراء الدنيا ، ويغلق اذنيه عن ضجة الارض ليسمع اغاني اللانهاية .

هنا هو الفارض — روح نقية كأشعة الشمس وقلب متقد كالنار ، وفكرة صافية كبحيرة بين الجبال . وهو وان كان دون الجاهليين عزماً واقل من المولدين ظرفاً ففي شعره ما لم يحلم به الاولون ولم يبلغه المتأخرون